رحلة البطل في ثلاث ملاحم قديمة

Hero's journey in three ancient sagas

اعداد

أ.د/ عايدي علي جمعة

أستاذ الأدب والنقد - كلية الإعلام

جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب- مصر

Doi: 10.12816/mdad.2021.152300

الاستلام: ٨/ ١٢/ ٢٠٢٠ القبول : ١ / ١ /٢٠٢١

المستخلص :

للبطل حضور فذ في وجدان الإنسانية التي طالما ثمّنت قيم البطولة وعدت البطل رمزا للخلاص من واقع شديد التعاسة. وليست غريبة تلك الكثافة البادية في التجلي الأدبي لرحلة البطل في الآداب العالمية بشكل عام، وفي الملاحم القديمة بوجه خاص؛ فالملحمة تعالج بطولات قومية، وتتضمن أحداثا يمتزج فيها الخيال بالحقيقة. وتنصب هذه الدراسة على رحلة البطل في ثلاث ملاحم قديمة لها شهرتها الذائعة في عالم الأدب، هي: ملحمة جلجاميش، والإلياذة، والأوديسة. وعلى الرغم من أن هذه الملاحم تنتمي لحضارتين مختلفتين فإن أوجه التشابه فيها بين أساطير الأبطال تبدو لافتة، وهو الأمر الذي نتتبعه بالتحليل، وقوفا على بنية رحلة البطل وتركيبها، إذ إن لها، إن جاز القول، نمطا عالميا شاملا، رغم أنها ظهرت لدى جماعات أو أفراد لا تربطها بعضهم بالبعض الآخر أية علاقات ثقافية مباشرة.

الكلمات المفتاحية: الملاحم، أسطورة البطل، الرحلة، ملحمة جلجامش، الإلياذة، الأوديسة، الرمزية، الشخصية الضدية.

Abstract:

The hero has a unique presence in the consciousness of humanity, which has always valued the values of heroism and promised the hero a symbol of salvation from a very unhappy reality. It is not strange that the intensity shown in the literary manifestation of the hero's journey in world literature in general, and in ancient epics in particular; The epic deals with national

heroics, and includes events in which fiction and reality are mixed. This study focuses on the hero's journey in three ancient epics that are famous in the literary world, namely: Gilgamesh, The Iliad, and The Odyssey. Although these epics belong to two different civilizations, the similarities in them between the myths of the heroes seem remarkable, and this is what we follow through analysis, standing on the structure and composition of the hero's journey, as they have, so to say, a comprehensive global pattern, although they appeared in groups or Individuals who do not have any direct cultural relations with others.

Keywords: epics, myth of the hero, the journey, the epic of Gilgamesh, the Iliad, the Odyssey, symbolism, the antipersonal character.

مقدمة :

تعد الرحلة من الرموز الأولية في اللاوعي الجماعي، ومنذ الملاحم القديمة وجدنا عنصر الرحلة يأخذ أوفى نصيب في اللاشعور الجمعي. ولا يوجد أدب في العالم يخلو من سمة الرحلة باعتبارها عنصرا مهيمنا في التفكير الإنساني.

أما البطل فله حضور فذ في وجدان الإنسانية كلها، حيث وجدنا الإنسانية تمجد قيم البطولة على مدار تاريخها. يقول جوزيف هندرسون: "أسطورة البطل هي الأسطورة الأكثر شيوعا وانتشارا في العالم، إننا نجدها في الأساطير الكلاسيكية لدى الإغريق والرومان، في العصور الوسطى، في الشرق الأقصى، وكذلك لدى القبائل البدائية المعاصرة، وكذلك تظهر في أحلامنا أيضا، ولها سحرها المثير الواضح، كما أن لها أهميه سيكولوجية أقل وضوحا، إنما أشد عمقا" (١).

وكان النظر إلى البطل باعتباره رمزا للخلاص من واقع شديد التعاسة ذا حضور كبير في الآداب العالمية حتى الآن. و"البطل هو ذلك الإنسان، سواء كان رجلا أم امرأة، الذي له المقدرة على أن يكافح من خلال حدوده الشخصية والتاريخية المكانية في سبيل الأشكال الإنسانية التي تتمتع بالصلاحية المطلقة. أما رؤاه وأفكاره وإلهاماته فتأتي نقية منبثقة مع المنابع الأولى للحياة والفكر الإنسانيين. ومن هنا فهي حاسمة ولا ترد." (٢).

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أن البطل هو "الشخصية الرئيسة في العمل الأدبي، أو الشخص المهم في القصص الأسطورية القديمة، وفي الملاحم البطولية، كإلياذة هوميروس أو ملحمة جلجامش"(٣).

وعلماء الاجتماع "لاينظرون إلى الأسطورة من خلال الفرد، بل من خلال علاقتها

بالطقوس التي تقوم بدور الجهاز العصبي في حياة الجماعة، ووصلوا بعد درس وتحليل ومقارنة، إلى أن الأساطير لم تكن إلا التعبير القولي عما يمارس عمليا في الطقوس القبلية وما البطولة في تلك الأساطير إلا تجسيما للوعي الجماعي ونظام حياتهم"[٤].

وللآلهة حضور كبير جدا في الملاحم القديمة "والبطل الملحمي قد يعتمد في حل المشكلات التي تعترضه على عقله وعدته ولكنه قبل ذلك يعتمد اعتمادا كليا على مساعدة الآلهة الخارقة ومساندتها، والآلهة في الملاحم تحذر البطل من أعدائه، وتنبهه لما يحاك ضده من شرور ومؤامرات، وهي تنزل من عليائها لتحل المشكلات، وهي عونه وسنده في الحروب والمنازعات"[٥].

والحقيقة أن "الملحمة ـ قديما ـ عبارة عن منظومة، قصصية، طويلة، تعالج بطولات قومية، وتتضمن وتعالج أحداثا يمتزج فيها الخيال بالحقيقة"[٦].

ورحلة البطل كما يراها جوزيف كامبل في كتابه البطل بألف وجه تظهر من خلال التحرك عبر أربع مراحل: المرحلة الأولى هي العالم القار ثم النداء الذي يلبيه البطل ثم بطن الحوت حيث يدخل البطل في مرحلة عماء ومغامرات رهيبة يشبهها كامبل ببطن الحوت ثم تأتي النهاية بالعودة إلى المرحلة الأولى. [٧]

والحقيقة أن "البطل في الملحمة حقيقي أو أسطوري يدافع عن القيم التي تتمسك بها الجماعة، ليتحول إلى رمز من رموزها، ولذلك لابد من أن يتسم الحدث أو الشخصية بشئ من الغرائبية أو المبالغة لرفع البطل من الإنسان العادي إلى ما فوق البشر"[٨]

في ضوء ما سبق تنصب هذه الدراسة على إلقاء الضوء على رحلة البطل في ثلاث ملاحم قديمة لها شهرتها الذائعة في عالم الأدب. هي ملحمة جلجاميش والإلياذة والأوديسة.

وملحمة جلجامش ملحمة بابلية وسومرية قديمة تنتمي لأرض بلاد الرافدين، أماالإلياذة والأوديسة فهما ملحمتا هوميروس الخالدتان، وهما ملحمتان يونانيتان تنتميان للعالم الغربي.

وعلى الرغم من أن هذه الملاحم تنتمي لحضارتين مختلفتين فإن أوجه التشابه بينها واضحة، وفي هذا الصدد يقول هندرسون: "تتفاوت أساطير الأبطال هذه تفاوتا شديدا من حيث التفاصيل لكن بقدر ما يدقق المرء النظر فيها أكثر يرى أنها متشابهة، من حيث البنية والتراكيب تشابها كبيرا، إذ إن لها، إن جاز القول، نمطا عالميا شاملا، رغم أنها ظهرت لدى جماعات أو أفراد لا تربطها بعضهم بالبعض الآخر أية علاقات ثقافية مباشرة". [٩]

رحلة البطل في ملحمة جلجاميش:

عن ملحمة جلجاميش:

تعد ملحمة جلجاميش قمة أدبية شاهقة في تاريخ بلاد الرافدين. وهي من أغوى

ملاحم العالم القديم، ومنذ اكتشاف نصها حوالي منتصف القرن التاسع عشر وغوايتها لا تنتهي عند حد.

ولا يكاد يوجد شبيه لها في الآداب القديمة للشرق الأوسط. وقد ذكر الدكتور عبد الغفار مكاوي الذي ترجم هذه الملحمة إلى العربية أن بداية تدوين أجزاء من ملحمة جلجاميش لا تقل عما يقرب من أربعة آلاف سنة.(١٠)

وبذا فإنها تعد الأقدم بين الملاحم المعروفة.

الصراع في ملحمة جلجاميش:

تتمثل في ملحمة جلجاميش ثيمة الصراع: صراع البطل ضد قدره الذى لا فكاك منه. فالإنسان مقدر عليه الموت المحتم منذ الأزل، ولكن البطل لا يستسلم لهذا القدر، وإنما يقوم برحلة فائقة من أجل التغلب عليه.

سمات البطل:

يظهر جلجاميش فى هذه الملحمة ملكا على مدينة أوروك، وهو بطل مغوار محكما سيطرته على مدينته، لايقف أمامه أحد، ويتميز بالقوة الجسدية الفائقة حيث يصل طوله إلى أحد عشر قدما، وعرض صدره تسعة أشبار كاملة.

" لما خلق جلجاميش،
أكمل بطل الآلهة هيئته.
اشترك الآلهة فى صنع صورته:
فأضفى عليه الجمال شمِش السماوي، وحباه أدد البطولة.
على أروع صورة خلق الآلهة العظام جلجاميش:
بلغ طول قامته أحد عشر ذراعا،
وعرض صدره تسعة أشبار"(١١)

ورغم أن جلجاميش يظهر فى هذه الملحمة بمظهر الحامي لمدينته فإن المدينة لم تسلم من ظلمه وجبروته، مما جعل الآلهة تفكر فى خلق بطل لا يقل عنه قوة كي يكفكف من غربه.

فيظهر بطل خارق إلى الوجود هو أنكيدو الذي يتعرض لجلجاميش ويصارعه ولكن جلجاميش فائق القوة يتغلب عليه، فتنشأ صداقة متينة بين البطلين. وهذا البطل نصف إنسان لأن أمه بقرة وحشية.

والبطل يعيش حتى نهاية عمره في تسليم كامل بمصيره الذي لن يستطيع الإفلات منه ويموت ميتة طبيعية في وطنه غير مغترب.

رحلة البطل:

بدأت رحلة البطل جلجاميش بالاشتراك مع صديقه أنكيدو للذهاب إلى أقصى الأرض عبر الغابات البعيدة من أجل الحصول على الشجرة الممنوعة على الإنسان، أو

على أشجار الأرز. وكانت حجة جلجاميش فى القيام بهذه الرحلة هى تخليص العالم من الشر المتمثل فى الشيطان همبابا. واستطاعا سويا قتل الشيطان همبابا المرصود لحماية هذه الشجرة من قبل الإله أنليل إله الأرض والرياح والهواء وذلك بمساعدة شمِش إله الشمس.

وأثناء عودتهما اشتهت عشتار إلهة الحب جلجاميش، ولكنه صدها لمعرفته بالغدر منها بعد قضاء شهوتها ممن ترغب فيهم. مما جعل الإلهة عشتار تتوسل إلى أبيها أونو إله السماء كى يرسل ثور السماء على جلجاميش وأنكيدو لتدميرهما.

"طارد أنكيدو ثور السماء ليمسك به،
ثم أطبق على ذيله،
وقبض عليه بكلتا يديه،
وجلجاميش، كقصاب بارع،
طعن الثور السماوى بقوة وثقة"(١٢).

فقد استطاع البطلان قتل الثور السماوى. فكانت النتيجة اجتماع الآلهة واتخاذ قرار بمعاقبة أحد الرفيقين جلجاميش أو أنكيدو بالموت جزاء على هذا التجاوز. فمات أنكيدو. مما أصاب جلجاميش بانكسار القلب، وصمم على معرفة سر الخلود. ولم يوار صديقه أنكيدو الثرى لمدة سبعة أيام متواصلة حتى ظهر الدود على وجهه.

"بكى جلجاميش صديقه أنكيدو بكاء مرا
وهام (على وجهه) فى البراري:
"ألن يكون مصيرى، إذا مت، مثل مصير أنكيدو؟
نفذ الغم إلى وجدانى،
والخوف من الموت تمكن منى، وها أنذا أهيم في البراري،
(قاصدا) "أوتنابشتيم"، ابن "أوبار- توتو"
الذى اتخذت طريقي وحثثت الخطا إليه،"(١٣).

الدافع إلى الرحلة الكبرى:

وكان منظر أنكيدو بعد الموت وما آل إليه هو الدافع الذى حدا بجلجاميش من أجل القيام برحلة فائقة لمقابلة أوتنابشتيم ذلك الذى منحته الآلهة الخلود بعد الطوفان. وقد كانت رحلة جلجاميش بمفرده عبر الطرقات الوعرة والجبال المخيفة والبحار شديدة الرعب. وعبر به المراكبي أورشنابي - ملاح سفينة أوتنابشتيم التى نجا بها من الطوفان - عبر بحار الموت كى يلقى أوتنابشتيم. واستطاع لقاءه فأخبره أوتنابشتيم بقصة الطوفان، وكيف أن الآلهة قررت إفناء الإنسان، ولكن إله الحكمة عرفه قرار الآلهة. ودله على صنع سفينة عملاقة يضع فيها أسرته والبذور وأزواج الحيوانات حتى ينجو من هذا الطوفان المهلك.

ومن هنا فإن الدافع لرحلة جلجاميش الفائقة هو معرفة سر الخلود، حتى يعيد صديقه أنكيدو إلى الحياة مرة أخرى، وينجو هو من الموت المحقق.

مسار الرحلة:

وقد كانت رحلة البطل فى هذه الملحمة عبر جهات ثلاث، جهة السماء حيث ارتقى الجبال العالية مع صديقه أنكيدو أولا حينما صعدا سويا إلى الشيطان خمبابا من أجل القضاء عليه، وكان التوفيق حليفهما في هذه الرحلة، حيث تحقق الهدف منها، وهو القضاء على رمز الشر في العالم المتمثل في خمبابا. كما صعد جبل الشمس بمفرده ثانيا حينما انطلق فى رحلة البحث عن الخلود. وكان التوفيق حليفه أيضا، حيث تحقق الغرض من هذا الصعود، وهو الإبحار عبر مياه الموت إلى جده الخالد أوتنابشتيم.

أما الجهة الثانية فكانت أفقية فعبر الأرض والمياه حتى وصل إلى أوتنابشتيم. وكان التوفيق حليفه أيضا في هذه الرحلة، حيث تحقق الغرض منها، وهو مقابلة جده الخالد أوتنابشتيم.

والجهة الثالثة كانت إلى الأعماق منفردا حتى حصل على عشبة الخلود. ولكنه في رحلة العودة فقد النبتة وفقد معها الأمل في خلود الإنسان على هذه الأرض.

"وهنا شاهد جلجاميش حفرة ماء. كان ماؤها عذبا وباردا فنزل فيها واغتسل بالماء. وجاءت أفعى وشمت عبير النبتة، فصعدت إليها وأخذتها بعيدا.

ومن حيث إن الأفعى ابتلعت النبتة توصلت في الحال إلى القوة التي تسمح لها بتغيير جلدها وتجديد شبابها"(١٤).

المعين للبطل:

أما عن دور المعين فى الرحلة فى هذه الملحمة فيظهر من خلال الآلهة التي تحب جلجاميش.

" فجلجاميش قد شمله شمِش بعطفه (ورعايته)
كما حباه آنو وانليل وايا سعة الفهم"(١٥).

و كان المعين الأساسى من خارج دائرة الآلهة فى الجزء الأول من الرحلة هو صديقه أنكيدو الذى يكاد يضارعه قوة ومتانة وشجاعة قلب، فقد ساعده فى قتل الشيطان خمبابا وساعده فى قتل ثور السماء كما ساعده فى قتل الأسود، وكان له نعم الصاحب والمعين.

وفى رحلته المنفردة من أجل الخلود كان أورشنابي مراكبى أوتنابشتم هو رفيقه الذى يجدف له عبر مياه الموت الواسعة.

"شاق هو هذا المعبر، والدرب إليه مضني،
بينهما تمتد مياه الموت، (مياه الموت) عصية!
ربما أمكنك يا جلجاميش، أن تعبر البحر من أى مكان،

لكن ماذا تفعل ـ إن أمكنك بلوغ مياه الموت؟
جلجاميش، ها هو ذا "أورشنابي"، ملاح (سفينة) "أوتنابشتيم"،
ولديه الصور الحجرية، وهو هناك في الغابة يجمع الأرز.
(امض إليه) عساك تراه.
إذا استطعت فاعبر معه (البحر)
وإذا لم تستطع، فارجع أدراجك!" (١٦).

كما نجد الجد الخالد أوتنابشتيم يعين جلجاميش على تحقيق هدفه الأساسي، فيدله على نبتة الخلود، ولكن جلجاميش يفقدها في رحلة العودة، ويرجع خالي الوفاض.

المضاد للبطل:

يظهر المضاد للبطل في ملحمة جلجاميش عبر دوائر مختلفة، فهناك دائرة الآلهة التي تخلق أنكيدو ليكون عدوا لجلجاميش يكفكف من غربه، وتظهر الإلهة عشتار التي تتوسل لأبيها أونو إله السماء كي يرسل ثور السماء للقضاء على جلجاميش لأنه أهانها برفضه لطلبها فى الاستمتاع به.

وهناك دائرة الكائنات فوق الطبيعية التي تستخدمها الآلهة ضد جلجاميش، حيث ظهر منها الشيطان خمبابا الذي ذهب جلجاميش إليه مصطحبا معه صديقه أنكيدو، واستطاع جلجاميش القضاء عليه.

كما أن ثور السماء الذي أرسله إله السماء أونو للقضاء على جلجاميش بعد توسل من ابنته عشتار يعد من أعداء البطل، ولكن جلجاميش بمساعدة أنكيدو ذبحه.

وهناك دائرة الحيوانات متمثلة في الأسود التي قضى عليها جلجاميش بمساعدة رفيقه فائق القوة أنكيدو.

ولكن يبقى أكبر وأهم مضاد للبطل متمثلا في الحية التي حرمت جلجاميش من نبتة الخلود، وجعلت اليأس يسكن قلبه إلى الأبد.

النبل في رحلة جلجاميش:

من هنا تبدو رحلة جلجاميش ذات مذاق خاص، لأنها تتسم بالنبل الفائق، حيث تعد هذه الرحلة نموذجا أصليا لبحث الإنسانية الدؤوب عن قهر الموت الذى يفتك بها ليل نهار.

ومن ملامح نبل هذه الرحلة أن المحرك الأول فيها هو الصديق. وبذا تعلى قيمة الصداقة والأخوة على أى قيمة أخرى.

كما يبدو من غوايتها وإغراقها في النبل أن الجزء الأهم من الرحلة كان من نصيب البطل منفردا، وليس معه أحد ممن يعرفهم من قبل معه، فقد صعد إلى جبل الشمس الذى تختبئ فيه الشمس وقت غروبها، وقطع طريقا هائلا طويلا، مظلما ومخيفا بمفرده أياما طويلة، حتى رأى النور، فعبر مياه الموت نفسها حتى وصل إلى أوتنابشتيم. ولم يكتف

بذلك بل إنه نزل إلى أعماق المياه منفردا وحصل على نبتة الخلود، ولكن الفشل كان نصيبه فى النهاية.

لقد بدت جسارة جلجاميش فائقة، وقلبه لا يعرف التردد أو الوهن في سبيل تحقيق هدفه. وإذا كان الفشل حليفه فى النهاية فإنه فشل نبيل.

وعلى الرغم من عمليات الاستباق التى تؤكد لجلجاميش فشل رحلته فإنه ظل مصمما عليها، وهو في حالة من النبل الفريد.

" تكدر شمِش وذهب (بنفسه) إليه
قال لجلجاميش:
أين تمضى يا جلجاميش؟
إن الحياة التى تبحث عنها لن تجدها!" (١٧)

ومن قبل نجد أيضا ساقية الحان تؤكد له فشل رحلته:

"قالت له ساقية الحان، قالت لجلجاميش:
"إلى أين تمضي يا جلجاميش؟
إن الحياة التى تبحث عنها لن تجدها!" (١٨)

ويبقى الحزن الفائق الذي يحمله قلب جلجاميش المعنّى شاهدا فائقا على نبل هذا البطل ونبل رحلته.

نجاح الرحلة أو فشلها:

وقبل أن يعود جلجاميش يائسا دله أوتنابشتيم على نبتة الخلود، فقام جلجاميش منفردا برحلة من نوع خاص، إلى أعماق المياه حيث تنبت هذه العشبة، وربط أقدامه بحجارة ثقيلة حتى وصل إلى الأعماق، وحصل عليها، وتخلص من الحجارة الثقيلة التى ربط بها أقدامه، وركب المركب مع المراكبي أورشنابي، ولكنه فى طريق العودة نزل يغتسل فى الماء الصافى فجاءت حية وشمت نبتة الخلود فخطفتها وغيرت جلدها، وانطلقت بها إلى أعماق المياه ولم يستطع جلجاميش إعادتها.

"وعندما رأى جلجاميش بئرا باردة،
نزل فيها ليغتسل (بالماء)
شمت أفعى شذا النبتة.
فتسللت خارجة من الماء وأخذتها.
وعند عودتها غيرت جلدها.
هنالك جلس جلجاميش يبكي،"(١٩).

وعاد جلجاميش فارغ اليدين، وهو يعلم أنه لن يستطيع أن يعيد صديقه للحياة مرة أخرى، ولن يستطيع أن يعيش هو نفسه إلى الأبد، ولكن الجنس البشري سيظل من بعده.

رمزية الرحلة في ملحمة جلجاميش:

تبدو الرحلة في هذه الملحمة رامزة إلى رحلة البشرية الطويلة ومحاولتها الدؤوب من أجل قهر الموت، وقد استطاعت البشرية حتى هذه اللحظة قهر الموت،لأن الجنس البشري على هذه الأرض لم يفن بعد.

فالموت انتصر على الإنسان على المستوى الفردي، فلم نجد إنسانا خالدا، أو قاهرا للموت بمفرده، ولكننا وجدنا قهر الموت قد تم على يد البشرية فقد صمدت البشرية في مواجهة الموت على مدار رحلتها الطويلة.

رحلة أخيل بطل الإلياذة:

سمات البطل:

يظهر أخيل بطل الإلياذة باعتباره أقوى المحاربين على الإطلاق في حرب طروادة. هذه الحرب التى قامت بين اليونانيين والطرواديين من أجل هيلين زوجة منيلاوس التى خطفها باريس بن بريام ملك طروادة مما استدعى تجمع اليونانيين تحت قيادة أجا ممنون الأخ الأكبر لمنيلاوس، فتحرك الأسطول اليوناني عبر الأمواج المتلاطمة متوجها إلى طروادة ذات الأسوار المنيعة التى استعصت على كل المهاجمين من قبل.

واستمر حصار طروادة عشرة أعوام كاملة. وقد رصدت ملحمة الإلياذة لصاحبها هوميروس العام الأخير لهذه الحرب.

فى البداية تظهر كفة اليونانيين على أعدائهم بفضل وجود أخيل السريع القدمين على حد وصف الإلياذة له.

ويبدو جسده محصنا ضد أى سلاح بسبب من أمه التى تنتمى إلى الآلهة والتى تعرف ميراث أخيل البشري فتخشى عليه الموت فتغطسه فى نهر ستيكس المقدس، ولكنها تمسكه من كعبه فيصبح جسمه مستعصيا على أى سلاح ما عدا كعبه.

ومن هنا فإن أخيل نصف إله ونصف بشر. لأن أباه من البشر وأمه من الآلهة.

يموت أخيل وهو في ريعان شبابه ميتة غير طبيعية حيث أصابه سهم باريس بتوجيه من أبولو في كعبه فيخر البطل صريعا غريبا عن موطنه. ولم تذكر الإلياذة ذلك لأنها انتهت عند جنازة هيكتور الذي قتله آخيل.

كما يتميز أخيل بالغضب الحاد، فقد ترك المعارك مع الطرواديين غاضبا بسبب أخذ أجا ممنون لسبيته برسيس، وذاق الجيش اليوناني الأمرين من سيف هكتور عندما اعتزل أخيل الحرب.

كما ظهر غضبه الحاد بصورة مرعبة حينما قتل هكتور صديقه باتروكلوس، وعاد بغضبه الهائج إلى المعارك الطاحنة وقتل هكتور بطل الطرواديين بلا منازع.

وظهر غضبه شديد الحدة عندما ربط جثة هكتور بعد أن صرعه بعربته الحربية وظل يدور بها حول أسوار طروادة بلا رحمة اثنى عشر يوما، أمام زوجته وأبيه وأهل

طروادة وجيشها.

ومن هنا فإن سمة الوحشية لا تبدو بعيدة عن هذا البطل الشهير.

كما يبدو من سماته شدة الميل إلى النساء، فقد ظهر ميله الشديد إلى أسيرته الطروادية برسيس.

المعين لأخيل:

أخيل يقاتل على رأس جيش اليونانيين ومن هنا فإن الجيش اليوناني كله يعد فى دور المعين لهذا البطل.

ومن سمات هذا المعين الكثرة والشجاعة والهجوم على الخصوم. ومنهم أسماء لامعة مثل أوديسيوس ومعظمهم لم تذكر لهم الملحمة اسما.

ولكن يتحدد المعين النافع فى أم أخيل نفسه التى تأتيه بسلاح فاتك ودرع فائق من السماء نفسها ولا يوجد مثل هذا السلاح ومثل هذا الدرع لدى أحد من الشجعان ويكون درع أخيل وسيفه علامة مميزة له يعرفه الجميع ويكون هذا السلاح خير معين له فى حربه، كما أن بعض الآلهة يقفون إلى جانبه.

المضاد للبطل:

يتحدد المضاد للبطل فى هذه الملحمة من خلال ثلاث دوائر: الدائرة الأولى هى قومه الإغريق أنفسهم حيث ظهر منهم أجا ممنون نفسه قائد الجيش اليونانى الذى أغضب أخيل غضبا جعله يعتزل الحرب الدائرة، فقد أخذ سبيته التى أسرها من معبد أبولو، وكان اعتزال أخيل الحرب سببا جوهريا في رجحان كفة الطرواديين على اليونانيين.

الدائرة الثانية تتحدد من خلال جيش الطرواديين نفسه وهم كثرة كاثرة يدافعون عن أرضهم ولكن أخيل يفعل بهم الأفاعيل فى حربه ضدهم. ولكن يظهر منهم أقوى بطل طروادى على الإطلاق وهو هكتور مروض الخيول على حد تعبير الإلياذة نفسها. ولكن أخيل البطل اليوناني يذيقه الموت الزؤام. وتحسن المقارنة بين هذين البطلين الفائقين.

فمن ناحية القوة يعد أخيل أقوى المحاربين على الإطلاق، ولكن هكتور يكاد يقترب في قوته الفائقة من درجة أخيل نفسه.

ومن ناحية الأصل فإن أخيل نصف إله، أما هكتور فهو إنسان لأن أباه بشر وأمه من البشر أيضا.

ومن ناحية المستوى الاجتماعي فإن أخيل بن بيلوس ملك المرميديين وأمه من حوريات البحر.

أما هكتور فأبوه هو الملك بريام ملك طروادة ذات الشهرة العريضة في مناعة أسوارها.

ومن ناحية المرحلة العمرية فقد كان الاثنان في شرخ الشباب. ومن ناحية المهارة

القتالية فقد كان أخيل ماهرا مهارة لا تضارع في حين كان هكتور ماهرا أيضا مهارة لاتضارع.

ومن ناحية مهارات القيادة فقد كان أخيل قائدا شديد المهارة يطيعه الجنود ويأتمرون بأمره، وكان هكتور شديد المهارة في القيادة يطيعه الجنود ويأتمرون بأمره.

ولكن أخيل لم يكن هو القائد العام لجيش اليونان، حيث كان أجا ممنون هو القائد العام لجيش اليونان، وظهر بسبب ذلك خلاف شديد بينهما كاد يتسبب في هزيمة اليونانيين هزيمة ساحقة على يد هكتور مروض الخيول. ولم تكن هناك صلة قرابة بين أخيل من ناحية وأجا ممنون من ناحية أخرى، وكانت العلاقة بينهما تتسم بالسوء والقلق.

في حين كان القائد العام لجيش الطرواديين هو الملك بريام العجوز والد هكتور وكانت هذه العلاقة على مايرام، ولم يحدث خلاف بينهما حيث كان الوالد مفوضا قيادة الجيش الطروادي إلى ابنه البطل الخارق هكتور. حيث كانت العلاقة بينهما على أحسن ما يرام.

كما يظهر الجانب النفسي في عملية المقارنة فنجد أخيل يقاتل من أجل خلود الذكر والشهرة في حين كان هكتور يقاتل من أجل الدفاع عن الأرض والأهل والشرف.

ومن هنا فإنه رغم تغلب أخيل على هكتور وقتله في المعركة أمام أسوار طروادة فإن بطولة هكتور تظل خالدة ولها غوايتها الخاصة وذلك بسبب من سماته النفسية الخاصة وما فيه من نبل فقد حياته بسببه.

ويبدو من سمات هكتور النفسية حبه لزوجته وأسرته وأرضه ودفاعه بروحه عن كل ذلك.

ويظهر أيضا من أعداء أخيل باريس الأخ الأصغر لهكتور ومشعل هذه الحرب باختطافه لهيلين الجميلة، وهو الذى يسقط أخيل على يديه فقد وجه سهمه المصيب إلى كعبه. فمات أخيل. وكان ذلك بإيعاز من أبولو.

ومن هنا فإن "البطل المعادي ليس بالضرورة متناقضا مع البطل، إذ قد يكون بطلا مثيرا للإعجاب يملك كل مقومات البطولة"(٢٠)

الدائرة الثالثة تتحدد من خلال الآلهة الذين يقفون فى جانب الطرواديين، خصوصا أبولو الذى يدل باريس على نقطة ضعف أخيل فيصوب لها سهمه فيسقط البطل.

الحب عند أخيل:

يظهر الحب عند بطل ملحمة الإلياذة من خلال قصة العلاقة الشهيرة مع الأسيرة الطروادية التى أسرها أخيل فى معبد أبولو، واطمأن إليها وعشقها.

ولكن يحدث ما يغضب البطل. حين ينتزع قائد الجيش اليوناني أجاممنون هذه الأسيرة على غير رغبة من أخيل بطل اليونان. فيعتزل أخيل هذه الحرب فتعلو كفة الطرواديين على اليونانيين نتيجة لهذا الاعتزال. ومن هنا فإن ثيمة الحب والحرب لا

نعدمها فى الملحمة اليونانية.

هذه الثيمة التي ظهرت ملامحها بصور مختلفة، فمنها حب أخيل لأسيرته الطروادية برسيس، وعلاقة العشق والاختطاف بين باريس وهيلين التي كانت السبب المباشر في الحرب الضروس.

أما علاقة هكتور بزوجته أندروماك فلها مذاق خاص لأنها الحب العميق بين زوجين متفاهمين.

فضاء الرحلة:

يتحدد فضاء رحلة أخيل في اليابس والماء فهو قد انطلق من اليابس وهي مدينته منضما إلى الأسطول اليوناني مبحرا عبر الأمواج المتلاطمة في البحر الأبيض عبر مسافات طويلة من بلاد اليونان حتى شاطئ مدينة طروادة في الأناضول.

ومن هنا فإن رحلته تسير في هذا الاتجاه ولا تهبط عبر الأعماق كما أنها أيضا لم تصعد عبر الأعالي. ولذا فإن رحلته أفقية من الغرب إلى الشرق. مليئة بحماس الانتقام من الطرواديين، وإثبات بطولته الفائقة.

صعوبات الرحلة:

تبدو الصعوبات فى رحلة بطل الإلياذة من خلال الأمواج المتلاطمة التى يجب عبورها كى يصل إلى أسوار طروادة، وهذه الصعوبة تغلب عليها البطل ومن معه بسهولة إلى حد ما من خلال السفن الشاهقة التى تحمل أبطال اليونانيين.

كما بدت صعوبة أخرى فى مواجهة بطل الطرواديين هكتور مروض الخيول، الذى ذاق اليونانيون مرارة سيفه الفاتك. ولكن أخيل استطاع التغلب على هذا البطل الفذ بمعاونة من أثينا.

وتتمثل الصعوبة الثالثة فى جيش الطرواديين الجرار من أبطال يدافعون ببسالة عن وطنهم، لكن أخيل بذل فى ذلك أوفى نصيب وأذاقهم الأمرين.

أما أسوار طروادة الحصينة فإنها تمثل صعوبة حقيقية واجهت اليونانيين جميعا ومنهم البطل الفذ أخيل بطبيعة الحال. فقد ظلت هذه الأسوار عشر سنوات شامخة ومستعصية على الاختراق، حتى استطاع أديسيوس الاهتداء إلى حيلة بارعة تتمثل فى حصان طروادة الشهير، وكان ذلك بعد سقوط أخيل صريعا بسهم باريس أمام أسوار طروادة الشامخة.

نهاية البطل:

"الحدث الأخير في تاريخ حياة البطل هو الموت أو الزوال. وفي هذا الموت يجد المغزى الكامل لحياته نصيبه التذكاري. ليس من الضروري أن نقول بأن البطل يكون أصغر إذا كان للموت بالنسبة إليه رهبة بشكل ما، فالشرط الأول إذن هو المصالحة مع القبر"[٢١]

لم تتحقق للبطل العودة من رحلته شديدة الخطورة فقد مات على أرض طروادة ولم تكتب له النجاة.

وقد كانت هذه النهاية تحقيقا لنبوءة قدمتها أم البطل أخيل له. وقد اختار السير فى رحلته رغم معرفته بمصيره فيه.

"وتلعب النبوءة دورا كبيرا في إخراج البطل من حيز الإنسان العادي إلى حيز الإنسان الأسطوري، أي من الواقعي إلى الأسطوري، وفيها يدخل دائرة الكون الكبير ليصبح مرتبطا به ارتباطا وثيقا.

والنبوءة هي الإخبار بالمستقبل قبل وقوعه، أي أنها قراءة الغيب وتعرف ما هو مكتوب في قدر الإنسان"(٢٢)

ويثار سؤال هنا هل حقق البطل أخيل في ملحمة الإلياذة الهدف من الرحلة؟

على الرغم من موته صريعا بسهم باريس الذي لا يخطئ أمام أسوار طروادة، وعلى الرغم من عدم رؤيته هذه الأسوار، وهي تفتح أبوابها لليونانيين فإن الهدف من الرحلة قد تحقق. لأن الهدف الأساسي لرحلة البطل أخيل هو شيوع الذكر في العالمين والحصول على الخلود أبد الدهر. وهذا ما تحقق بصورة هائلة ، فاسم أخيل يتردد في جنبات المعمورة حتى الآن باعتباره البطل المفرد في هذه الحرب الطاحنة.

نبل الرحلة:

تبدو قيم البطولة البدائية فى هذه الرحلة البطولية لأخيل، فقد كان الدافع لها الغضب من اعتداء باريس على شرف ملك يونانى هو منيلاوس بخطف زوجته.

كما أن الدافع النفسي للبطل فى رحلته هو تسجيل اسمه فى سجل الخالدين. فهو يعلم أن هذه الحرب من الضخامة بمكان، ويشترك فيها أبطال عظام فأراد أن يستوفى منها أوفى نصيب.

وهذه الغاية كانت شديدة النبل في الأزمنة القديمة، حيث كانت تمجد هذه الأزمنة قيم البطولة الحربية الفائقة وتمنح البطل الفذ كل تقدير وإعجاب، ولكن يبدو الانحسار الواضح لهذا النبل في عصرنا، لأن التركيز الشديد على الرغبة في حيازة المجد الحربي وخلود الذكر بإظهار البطولة الفائقة يقلل بصورة واضحة من نبل الغاية وشرف المقصد.

ولأن غايته كانت في الأساس ذات طابع شخصي وهو حيازة الخلود لنفسه فإنه سرعان ما يحيد عن الهدف الأعلى للحرب التي شنها اليونانيون، ويغضب لنفسه إذا ما مسه أحد، وذلك كما بدا من اعتزاله الحرب، وتركه اليونانيين لسيف هكتور وجنوده.

رحلة البطل من حيث الإجبار والاختيار:

فى رحلة أخيل مع الجنود اليونانيين عبر الأمواج المتلاطمة كانت سمة الاختيار الحر للبطل هى السمة المهيمنة على رحلته. فقد انطلق فى رحلته الطويلة دون أن يجبره أحد عليها. وإنما تحرك بدافع من نفسه الراغبة في خلود الذكر.

وقد علمت أمه حورية البحر ثيتيس بأن ابنها سيلقى حتفه وهو في شرخ الشباب أمام أسوار طروادة فاجتهدت أن تبعده عن هذا المصير، وذلك بإلباسه ملابس بنت، ولكن ذلك لم يخدع أوديسيوس واسع الحيلة والدهاء فقد كشف حقيقته حينما رآه يطرب للسلاح. واستطاع إقناعه بالذهاب مع اليونانيين إلى الحرب الطروادية.

خلود البطل:

يبدو خلود هذا البطل بصورة واضحة في الوجدان العالمي من خلال ما كتب عنه وما تناول حياته وما صنعه الخيال.

فهو يعد من أشهر الأسماء الإغريقية على الإطلاق، ولا يضارعه في القوة أو يفوقه غير هيرقليس فائق القوة.

هذا على العموم، اما على الخصوص فهو أشهر بطل على الإطلاق في حرب طروادة.

وقراء إلياذة هوميروس الخالدة لا يحصون كثرة، وكان ذلك من أسباب شهرة هذا البطل في جنبات المعمورة.

وقد ألهبت شخصيته الخيال، وجعلت السينما تتناولها في الكثير من أعمالها، ويعد أشهرها فيلم Troy، وهناك روايات تناولت هذه الشخصية الشهيرة، مثل رواية أغنية أخيل.

أما دارسو الأدب القديم والمتخصصون في الملاحم فلهم حضورهم الفذ في عالمنا المعاصر، وبالتالي أسهم ذلك في حضور شخصية أخيل، وقد تحوّل كعب أخيل أو وتر أخيل إلى رمز يطلق على نقطة الضعف الموجودة في كل بطل مهما كان فائق القوة.

رحلة البطل فى الأوديسة:

تتناول أوديسة هوميروس عودة البطل أوديسيوس من حرب طروادة هو ورجاله.

الصراع في ملحمة أوديسيوس:

يتحدد الصراع في هذه الملحمة من خلال صراع البطل مع الآلهة، أو بمعنى أدق مع بوسيدون إله البحر الذي استخدم البحر الهادر كي يغرق أوديسيوس فيه، ولكن أوديسيوس استطاع التغلب على إله البحر، ونجا منه سالما.

سمات البطل:

في هذه الملحمة نجد البطل بشرا خالصا، فهو ليس نصف إله، وإنما أبوه هو لايرتيس، وأمه امراة عادية تموت كباقي النساء.

ولكنه مدعوم دعما كبيرا من الإلهة مينيرفا.

والبطل هنا يمثل شريحة كبيرة من القيم المهيمنة على ثقافة أمته. فجلجاميش يمثل قيم الأخوة والصداقة والنبل وحب الحياة والرغبة العارمة في السيطرة على الموت خاطف نفوس البشر.

وأخيل يمثل قيم القوة الفائقة والفروسية التي لا تعرف الكلل.

وأوديسيوس يمثل قيم الصبر الكبير في مواجهة الشدائد والمثابرة التامة والحيل البارعة واستخدام العقل إلى أقصى درجة، ومواجهة الصعاب بعزيمة لا تعرف الكلل.

يظهر أوديسيوس بطل هذه الملحمة ملكا على إيثاكا التي غاب عنها زهاء عشرين عاما.

وهو صاحب الحيلة الأشهر فى التاريخ القديم، وهى حيلة حصان طروادة الذى أدى إلى سقوط المدينة بعدما عجز اليونانيون عن اقتحام أسوارها شديدة المناعة.

كما يتميز هذا البطل بالحيلة التى تستطيع التغلب على ما يعترضه من مشكلات مهما كانت ضراوتها. فقد سد آذان رفاقه بالشمع حتى لا يسمعوا غناء الحوريات اللائي يخدعن الرجال عن أنفسهم، ويوردنهم مورد التهلكة. وربط نفسه فى صارى سفينته حتى يسمعهن هو ولا يذهب إليهن.

وتظهر قدرته الفائقة على التكيف مع أصعب الظروف. فقد اغترب عشرين عاما عن موطنه، ورأى خلال ذلك الأهوال التى تقضي على أولي العزم، ولكنه تكيف معها وفي النهاية تغلب عليها جميعا. وعاد إلى وطنه. ولم يفقد صحته وقوته وشجاعته.

كما يتميز بالشجاعة الفائقة فهو مقاتل من الطراز الأول، وإن كان لايصل فى شهرته القتالية إلى درجة أخيل بطل اليونان الذى لا يضارع أو هكتور مروض الخيول فإن شهرته القتالية تأتى فى مكان متقدم جدا.

كما يتميز هذا البطل بالقوة الجسدية التى تجعله يتعامل مع قوسه شديد الثقل الذى يعجز خطاب زوجته عن التعامل معه رغم قوتهم.

كما يتميز أيضا بعدم الإسراف فى الضخامة الجسدية فهو ليس عملاقا ممتلئا، فحينما رفعه السيكلوب كى يأكله لم يملأ عينه فتركه وتخير رفيقا ضخما من رفاقه فأكله.

كما يتميز أيضا باستخدام الكذب والمداراة وقت اللزوم، خصوصا وقت الخطر. فقد كذب على السيكلوب حينما أخبره بأن اسمه لا أحد.

ومن هنا فإن أوديسيوس "محارب وبحار وحكيم وكاهن ومتكلم ذرب اللسان ولكنه يستطيع أن يكون متهورا يتحدى العمالقة القاتلة وآكلة لحوم البشر، وفضوليا يريد أن يعرف ما لم يعرفه إنسان، وهو والد محب وزوج عاشق لزوجته وبيته، ومنتقم قادر على قتل عشرات الرجال دون أن يطرف له جفن، وداهية يخدع بتنكره أقرب الناس إليه، وملك محبوب، يحبه شعبه وزوجته، وتحبه وتقع في هواه نساء كثيرات، كما تحبه السماء وتغفر له خطاياه"(٢٣)

والبطل يعيش حتى نهاية عمره في هدوء وسعادة وقناعة بما آل إليه أمره. ويموت في وطنه بين أسرته ورعيته.

ولكنه يبدو في مرحلة عمرية متقدمة هي عمر الكهولة، حيث كانت الإشارات

متكررة إلى تقدمه في العمر عبر مقاطع الأوديسة.

الهدف من الرحلة:

يتحدد الهدف الأساسي من رحلة أوديسيوس فى العودة إلى موطنه إيثاكا بعد الانتهاء من حرب طروادة الشهيرة. حيث زوجته بنيلوب وابنه تليماك ومملكته.

ولكن يحدث أن يتوه فى البحر وجزره عشر سنوات كاملة.

ورغم ما رآه خلال هذه السنوات العشر، وما قابله من ساحرات فائقات الجمال أحببنه وتمنين إقامته معهن، خصوصا كاليبسو فإن هدف العودة إلى الوطن لم يغب عن باله أبدا.

صعوبات الرحلة:

تتحدد صعوبات الرحلة فى الأوديسة من خلال الأمواج المتلاطمة التى يجب على البطل ورفاقه عبورها حتى يصل إلى موطنه إيثاكا، والمسافات الطويلة التى تاه فيها بعيدا عن وطنه. وما يواجهه خلال هذه المسافات من صعوبات حقيقية. وبذا "يستطيع البطل الظامئ إلى الحياة أن يتغلب لزمن محدد على الموت وأن يدفع بمصيره قدما إلى الأمام"(٢٤)

وقد ظهر للبطل أعداء كان كل همهم تعطيل مسيرة البطل أطول فترة ممكنة بل والقضاء عليه.

ويعد بوسيدون أو نيبتون إله البحر هو أظهر هؤلاء الأعداء وأكثرهم أذى للبطل ورفاقه.

وقد اكتسب أوديسيوس عداوة إله البحر لما فعله مع السيكلوب لأنه كان ابنه. فقد دخل أوديسيوس ورفاقه كهف السيكلوب للمبيت فيه دون علم بوجود صاحب له. وحينما حل المساء دخل السيكلوب وقطعانه الكهف وأغلق باب الكهف بصخرة هائلة، وكان عملاقا هائلا بعين واحدة.

وحينما رأى السيكلوب أوديسيوس ورفاقه بدأ يتخير أسمنهم والتهمه. وبدأ يلتهم منهم واحدا واحدا. مما جعل ذهن أوديسيوس يتفتق عن حيلة ذكية، وهى وضع فرع ضخم من شجرة زيتون المحمى فى عين السيكلوب الواحدة أثناء نومه. مما أصابه بالعمى. عندما صرخ السيكلوب متألما وسمعه رفاقه من أصحاب الكهوف المجاورة قائلين له من فعل بك هذا قال: "لا أحد" فعل بى هذا.

وكان هذا الاسم "لا أحد" هو الاسم الذى اختاره أوديسيوس لنفسه حينما سأله السيكلوب عن اسمه.

فضاء الرحلة عند اوديسيوس:

يتحرك البطل فى رحلة عودته تحركا أفقيا عبر البحر وأمواجه المتلاطمة ويتنقل عبر جزره المختلفة. وما يكاد يصل إلى موطنه حتى يحدث ما يجعله يغرق فى البعد

عنه. وقد كانت الرحلة من أقصى شرق المتوسط إلى أقصى غربه، ولم تكن الرحلة خطية، وإنما يقترب ويبتعد وهكذا.

ولم تكن رحلة أوديسيوس قاصرة على ما فوق البحر فقط وإنما امتدت لتشمل مملكة الموتى أو هاديس كما هو شائع عند اليونانيين. فقد هبط البطل فى رحلته إلى العالم السفلى. والتقى بأمه وأصدقائه الموتى. وكان هدف رحلته إلى العالم السفلي هو لقاء الحكيم تيريزياس صاحب النبوءات الشهيرة التي لا تخطئ كي يعرف منه مصيره.

وقد نجح البطل في رحلته تلك والتقى تيريزياس وعرف منه أنه سينجو من هذه الأمواج المتلاطمة ويعود لوطنه سالما.

ولكن لم تذكر الأوديسة للبطل رحلة له عبر الأعالي. ومن هنا فهو يزيد عن بطل الإلياذة درجة في الرحلة بسبب هبوطه للعالم السفلي.

المضاد للبطل فى رحلته:

يتحدد المضاد هنا للبطل فى ثلاث دوائر: الدائرة الأولى من عالم ما فوق الطبيعة ويتمثل فى الإله بوسيدون إله البحر الذى منح رحلة البطل كتلتها السردية الكبرى بما وضعه من عراقيل فائقة فى طريق عودته. وقد استطاع البطل أوديسيوس التغلب على جميع حيل بوسيدون فى النهاية ولكن ذلك استغرق منه عشر سنوات كاملة.

كما يظهر السيكلوب بن بوسيدون باعتباره المحرك الأكبر لغضب بوسيدون على أوديسيوس ورفاقه. وقد كاد يقضي على البطل في كهفه. ولكن البطل استطاع التغلب عليه بفقء عينه الواحدة.

كما أن أن زوج بوسيدون أو نبتيون كانت أيضا من أعداء البطل فقد جاء في الأوديسة " وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخرفيحطمه، أو أن تلمحه أمفتريت "زوج نبتيون"، عدوه اللدود، إله البحر، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه، أو يقذف به إلى أعمق الأعماق"[٢٥]

كماتعد الساحرات من أعداء البطل لأنهن عملن على تعطيله عن رحلة العودة إلى وطنه. خصوصا كاليبسو التى منحت اسمها للجزيرة التى تعيش عليها فيقال جزيرة كاليبسو. ورغم حبها لأوديسيوس ومحاولتها المستميتة الاستئثار به فإنها تعد من أعدائه لأنها وقفت فى طريق عودته.

كما ظهر من أعدائه الهولة شديدة القبح والدمامة ذات الرؤوس الست التي أكلت في مرة واحدة ستة من رجاله، بكل رأس بطلا من أبطاله، وهو ينظر عاجزا عن إغاثتهم.

كما يظهر أعداء للبطل فى نهاية رحلته وهم من بنى جلدته، خطاب زوجته بنيلوب الذين حاصروا قصره ونهبوا خيره، ولكن البطل استطاع التغلب عليهم جميعا فى الوليمة التى جمعتهم كلهم واستطاع قتلهم جميعا بسهامه التي لا تخطئ أهدافها.

المعين للبطل:

تبدو الإلهة مينرفا إلهة الحكمة هى أهم معين للبطل كي يتجاوز أزماته. واستطاعت أن تقدم له خدمات جليلة. فقد كانت تنزل من عليائها وتقدم خدماتها للبطل، وكثيرا ما حذرته من أعدائه، وحلت الكثير من مشكلاته. وكانت السمة المهيمنة على علاقة أوديسيوس بالآلهة عموما ـ ما عدا بوسيدون ـ ومينرفا إلهة الحكمة خصوصا هي التوافق. وكان أوديسيوس شديد الكرم مع الآلهة ينتقي لهم أطيب قطعانه ويذبحه قربانا لهم.

كما أن ملك شيريا وزوجته وابنه وابنته قدما للبطل خدمة جليلة، فقد تم استقباله في قصرهم. ومنحه كل سبل الدعم.

كما أن عروس الماء (إينو) ابنة قدموس أنقذته من الأمواج المتلاطمة "لقد تفجرت في قلبها شآبيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رأته في هذا الروع الذي ليس كمثله روع"(٢٦).

ثم قالت له: " ويحك أيها البائس فم أثرت غضبة نبتيون عليك حتى ليتبعك سربا في شعاب البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا ..؟

على أنني أنصح لك أن تدع هذا الرمث، تتدافعه الرياح حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز في الماء، وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا، حيث تسلم بنفسك، وتكون بمأمن من بطش هذا الجبار. خذ، هاك زنارا من حرير من حياكة السماء، لفه تحت صدرك، فإنه يجعلك بمأمن حتى من مجرد التفكير في الموت، فإذا وصلت سالما إلى الشاطئ فارمه بكل ما أوتيت من قوة بعيدا عن البحر، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء"(٢٧)

لقد كان لشفقة عروس البحر إينو دور كبير في مساعدة البطل على تجاوز هول الأمواج المتلاطمة، والرياح العتية.

كما يبدو ابنه تليماك من مؤازريه أيضا. وتبدو زوجته بينلوب فى غاية الإخلاص والحب له. فرغم غيابه عشرين عاما كاملة لم يدخل النسيان قلبها أبدا.

وعلى الرغم من كثرة خطابها ورغبتهم الأكيدة في الحصول عليها فإنها لم تخن زوجها. واشتهرت بلجوئها إلى حيلة نسج كفن لليرتيس والد أوديسيوس، وكانت تنقض بالليل ما تغزله بالنهار حتى عاد لها زوجها أوديسيوس. يقول أنتينوس أحد خطابها عنها مخاطبا ابنها تليماك: "لقد اتخذت لها منسجا وطفقت تعمل عليه وهي تغرر بنا، وتقول " أيها الإغريق: لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب، وكلكم تطمعون أن تفوزوا بزوجته، ولكن أبي ليرتيس رجل شيخ، وهو يدب بخطى وئيدة إلى حافة القبر، أفليس أخلق بي وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب، لتكون منه أكفانه، وحتى لا أكون مضغة في فم الإغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة، وليس له كفن يضم رفاته"(٢٨)

نبل الرحلة:

تتميز رحلة أوديسيوس بالنبل، لأنها رحلة عودة إلى أرض الوطن، إلى زوجته المحبة وابنه العزيز، ومملكته الغالية. ومن هنا فإن لم شمل الأسرة هو ما يميز هذه الرحلة.

الرحلة من حيث النجاح والفشل:

رغم المعاناة الشديدة فى الرحلة والبطء فى إنجازها والأهوال الكثيرة التي صادفها البطل أوديسيوس فى رحلته فإنه استطاع التغلب على كل ذلك وتم له النجاح فى رحلته ووصل إلى أرض الوطن سالما من كل سوء. وهو وإن كان وجد أعداء له يعيثون فسادا في قصره، وهم هؤلاء الخطاب لزوجته العاشقون لها، والذين أقاموا في قصر أوديسيوس المنيف يأكلون من نعاجه ويشربون من خموره دون وازع من ضمير وعجز ابنه الشاب تليماك عن توقيفهم عند حدهم فإنه استطاع بحيلته التنكرية البارعة وبدعم من منيرفا إلهة الحكمة القضاء عليهم جميعا.

المراجع:

[١] كارل غ يونج، الإنسان ورموزه، سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتألف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص١٣٦.
[٢] جوزيف كامبل، البطل بألف وجه، ترجمة حسن صقر، دار الكلمة، للنشر والتوزيع، دمشق، دار الشفيق للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٣١.
[٣] The New Encyclopedia Britanica/ The University of ChicagoPress, USA, 15th edition, 1980, volume,v, p: 02
[٤] شكري محمد عياد، البطل في الأدب والأساطير، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ص٨٠
[٥] نسيمة زمالي، البطل في الآداب العالمية: من الأسطورة إلى الحداثة، مجلة الذاكرة، العدد ٥٠، ص٣٦٣.
[٦] هامش رقم ٥ من كاتب فن الشعر لأرسطو فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٦٠.
[٧] ينظر كتاب البطل بألف وجه لجوزيف كامبل.
[٨] خليل الموسى، قراءات نصية في الشعر العربي المعاصر في سورية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢، ص١٢.
[٩] كارل غ يونج، الإنسان ورموزه، سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتألف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص١٣٦.
[١٠] "ملحمة جلجاميش، ترجمة عبد الغفار مكاوي،المركز القومي للترجمة، ميراث الترجمة، ١٢٦٨، ٢٠٠٨ ص١١.
[١١] السابق، ص٢٠.
[١٢] السابق،ص١٣٦.
[١٣] السابق، ص١٦٠.
[١٤] جوزيف كامبل، السابق، ص١٩٣.
[١٥] ملحمة جلجاميش، ص٧٧.
[١٦] السابق، ص١٧٤.
[١٧] السابق، ص١٧٠.
[١٨] السابق، ص ص٧٢.
[١٩] السابق ، ص٢٠٦.
[٢٠] أحمد شمس الدين الحجاجي، مولد البطل في السيرة الشعبية، دار الهلال، ص ٥٦.
[٢١] البطل بألف وجه، ص٣٥٩

[٢٢] أحمد شمس الدين الحجاجي، السابق، ص ٤٨
[٢٣] من مقدمة سامي خشبة لهوميروس، الأوديسة، تعريب دريني خشبة، مطابع أخبار اليوم، ص٧.
[٢٤] البطل بألف وجه، ص٣٦٣
[٢٥] هوميروس، الأوديسة، تعريب دريني خشبة، مطابع أخبار اليوم ، ص٨٥
[٢٦] الأوديسة، ص٨٢
[٢٧] الأوديسة، ص٨٣
[٢٨] الأوديسة، ص٢٨.

Doi: 10.12816/mdad.2021.152300